

ما ينبغي أن يُستقبل به شهر رمضان

ولما كان رمضان بهذه المثابة حرص الناس على أن يستقبلوه برغبة صادقة، وبمحبّة ثابتة؛ ولذلك ورد فيه أحاديث كثيرة في فضله، لا بد أنها تقرّ عليكم في وظائف رمضان كل سنة، ووظائفه يعني: فضائله التي وردت في فضله؛ وحيث إن موضوعنا: استقبال شهر رمضان، فإننا نتكلم حول ما ينبغي أن يستقبل به شهر رمضان، وكذلك حال كثير من الناس في استقبالهم لشهر رمضان، والفرق بين الحالتين، أو بين الحالات، فأقول: أولاً: إن شهر رمضان يعتبر موسماً، فهو موسم للعبادات عند الأتقياء والأبرار، وموسم لقراءة القرآن عند القراء ومحبي القرآن، وموسم للتجارات الأخروية، التي هي: الحسنات، ورفع الدرجات عند أهل التقى وأهل الإيمان، كما أنه عند آخرين موسم لأمر الدنيا، وعند آخرين أيضاً موسم للشهوات، وموسم للملاهي، ونحوها، فالذين جعلوه موسماً للطاعات يستقبلونه برغبة صادقة، وبمحبّة. ونذكر لذلك أمثلة في استقبال شهر رمضان، فيشاهد أن كثيراً من أهل المساجد إذا أقبل شهر رمضان اعتنوا بتنوير مساجدهم، واعتنوا بتطيبها، وبفرشها، وربما أيضاً توسعتها، وفرش الملحقات التي حولها؛ لأنهم يشاهدون أن شهر رمضان يتضاعف فيه عدد المصلين، يزيد فيه العدد في كثير من الصلوات، بالأخص في صلاة المغرب، وفي صلاة الصبح، وكذلك أيضاً في كثير من المساجد تمتلئ المساجد في صلاة التراويح، لا شك أن هذا ونحوه استقبال حسن، الذين إذا أقبل شهر رمضان قالوا: لا بد أن نهيئ له مكاناً لائقاً، فبدل ما كان المسجد قليل الضوء، وقليل الأنوار، يجددون أنواره، ويعتنون به، وكذلك أيضاً ينظفونه، وكذلك يزيدون في فسحه في فساته وما حوله، وملحقاته، وتوسعته، استعداداً لأن رمضان موسم للصلوات، فهؤلاء يستقبلونه استقبالا حسناً. هذا بالنسبة إلى المجموع إلى الجماعات، كذلك أيضاً آخرون يستقبلونه بإعداد المصاحف، يعرفون أن شهر رمضان شهر القرآن { الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } فيعد كل منهم لنفسه مصحفاً يحرص على أن يكون مناسباً له؛ ليقرأ فيه ما يقرأ، وليعد له، أو يهيئ له المكان الذي يقرأ فيه، وكذلك أيضاً القراءات المجموعة، الذين يقرءون جماعات، يستعدون أيضاً، فقد كانوا إلى حد قريب إلى قبل ثمان سنين، أو عشر سنين إذا أقبل رمضان القراء ينتهون، وينبه بعضهم بعضاً، ويستعدون لاجتماع في المساجد، أو في البيوت يقرءون القرآن، فيقولون: يا فلان، هل أنت مستعد أن تحضر الحلقة الفلانية؟ فإننا سنقيم حلقة نقرأ فيها القرآن، ونرتله، وتدارسه فيما بيننا، وكذلك أيضاً، هل أنت مستعد أن تحضر معنا في بيت فلان؛ لنقرأ ما تيسر؟ فيقرءون في كل ليلة ثلاثة أجزاء، قد يستمررون ساعتين، أو ساعة ونصف، يقرءون فيها هذه الثلاثة الأجزاء. لا شك أن هؤلاء هم من يستقبلون شهر رمضان عند إقباله بمحبّة كلام الله تعالى... ولقد كان هؤلاء موجودون في القرى، وفي المدن، ولكن في الأزمنة القديمة القريبة قبل منذ عشر سنين لم أسمع بمن يحيي هذه السنّة، ودليلهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يدارسه جبريل القرآن ليلاً، كما ذكر ذلك ابن رجب أن المدارس مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين جبريل كانت ليلاً، وأن الصحابة أيضاً كانوا يهتمون بقراءة القرآن في شهر رمضان. فعلى أن يحيي هذه السنّة، يجتمع مثلاً في المسجد، في هذا المسجد مثلاً، أو في بيت أحدنا عشرة، أو خمسة عشر تتدارس القرآن، يقرأ هذا ثُمنا ثُمنا الجزء، ثم يقرأ الثاني الثُمنا الذي يليه، والباقيون يستمعون، ثم يقرأ الثالث، وهكذا حتى تتم الحلقة، أو حتى يكملوا ثلاثة الأجزاء، ينصرفون بعد ذلك إلى بيوتهم، فهؤلاء يستقبلون رمضان باستقبال صحيح. وكذلك أيضاً الذين يستقبلونه بالاستعداد للعبادة؛ وذلك لأن العبادة تضاعف في هذا الشهر، ففي حديث سلمان المشهور: { من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فيه فريضة، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه } فيستعد آخرون للأعمال الصالحة فيه، فيستعدون للذكر، ويستعدون لإحياء الليل، أو ما تيسر منه، ويستعدون لنوافل النهار، النوافل: التطوعات في النهار، كل هؤلاء يثابون على ذلك؛ حيث إن هذا الشهر موسم لمثل هذه الأعمال، ولو كان الإنسان يجب أن يكون عمله دائماً في بقية عمره؛ ولكن مواسم الخيرات لها أهميتها ولها ميزتها، فيجب أن يعتنى بها، وأن تلقى من العباد عناية، وجداء، وجهداً. فيتفرغ أحدنا في كل يوم مثلاً في الصباح إما لقراءة القرآن، وإما للأذكار، والأوراد، والتسبيح، يستعد لذلك، ويبطل ما كان اعتاده، إذا كان قد اعتاد السهر طوال الليل والنوم في الصبيحة، يحرص على أن يبطل هذه العادة، وأن يبدأ يجعل بدل السهر على اللهو سهراً على القرآن، وأن يجعل بدل نوم الصبيحة يجعل بدله قراءة، وذكر، وأوراد، وأدعية؛ حتى تطلع الشمس؛ وحتى يصلي ما تيسر له بعد طلوع الشمس، وخروج وقت النهي، فيكون بذلك قد ربح في هذا الشهر، يعني: جعله شهر ربح، ومغفرة. كذلك أيضاً آخرون يستقبلونه بالاستعداد للصدقات، ونحوها، يعرفون مثلاً أن الصدقات تضاعف فيه؛ وذلك لفضل الزمان، فيتصدقون فيه، وليس فقط الزكاة، فإن الزكاة واجبة، وأمانة على كل مسلم، وعليه أن يخرجها متى وجبت؛ ولكن زيادة على ذلك أن يتصدق فيه بصدقات التطوع، وبصدقات التنفلات، فإذا أقبل رمضان حرصت على أن تهيب جزءاً من مالك، تجعله صدقة، تعرف أنه ورد في الحديث أن: { من فطر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه، وعتقاً لرقبته من النار، وكان له مثل أجر ذلك الصائم، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء } فيستقبله كثيرون بأن يستعدوا، ويعزلوا جزءاً من أموالهم، ويقولون: هذا لتفطير الصوام، وهذا لإعانة المستضعفين، وهذا للتوسعة على الفقراء والمساكين، وما أشبه ذلك، إذا أقبل رمضان أعدوا حساباً ونظروا فيما لديهم من الأموال التي يحبون أن يعزلوها، أو يتصدقوا بها، هؤلاء أيضاً يستقبلونه استقبالا حسناً. وكذلك أيضاً الذين يستقبلونه بالاستعداد للصيام؛ لكن الصيام واجب، معلوم أنه مكلف به كل مسلم، فليس الاستعداد للصيام من خواص أو ما يستقبل به، بل المسلم معد نفسه لأن يؤدي هذه الفريضة، ويقوم بها حق القيام؛ ولكن الذين يستقبلون رمضان بالاستعداد للصيام يستعدون لصيام كامل، وهو: أن يحفظوا صيامهم، أن يقولوا: إذا كنا ملزمين بالصيام فإن علينا أن نكمله، فنحرص على أن نصوم صوماً صحيحاً، نحرص على أن يكون صيامنا صياماً لله تعالى، نحفظه مما يفسده، أو مما يخله، فيقطعون علاقاتهم ومجالسهم الباطلة التي كانوا يجلسون فيها طوال الليل، أو أكثر الليل، أو أكثر النهار؛ لأن تلك المجالس وتلك العلاقات قد يكون فيها لغو ورفث، وقد يكون فيها قيل وقال، فيقطعونهم، ويتأهبون لأن يكون صيامهم صياماً صحيحاً، هؤلاء أيضاً يستقبلون شهر رمضان استقبالا حسناً، أي: يستقبلونه بالاستعداد لحفظ الصيام. كذلك أيضاً الذين يستقبلونه بالمحافظة على الصلاة، المحافظة على الفرائض واجبة في كل العمر على الصلوات المكتوبة؛ ولكن لرمضان أيضاً خصوصية وميزة؛ فلذلك نقول: إن الذين إذا أقبل رمضان استعدوا للمحافظة على الصلوات، واستعدوا للتقدم إلى المساجد، واستعدوا للمواظبة على نوافل الصلوات التي قبلها، والتي بعدها، وروايتها، وما أشبه ذلك، لا شك أن مثل هؤلاء لهم الأجر؛ حيث إنهم استعدوا لذلك أتم استعداد؛ ولكن الاستعداد للصلوات المكتوبة والمحافظة عليها وظيفة المسلم طوال حياته، فالتأهب للزيادة على ذلك يعتبر من استقبال رمضان استقبالا حسناً، فهؤلاء الذين ينبغي أن يمدحوا على هذا الاستقبال.